

تحليل الخطاب عند ميشال فوكو

محمد بن سباع¹

ملخص:

اتجه المشروع الفكري عند ميشال فوكو إلى إعادة قراءة تاريخ الثقافة الغربية ساعيا إلى تسليط الضوء على الموضوعات التي همشتها هذه الثقافة والتي أهمها السجن والجنس والعقاب وغيرها، ومنه مبرر توجهه إلى تحليل الخطاب مؤكدا على أن التحولات التي يعرفها هي التي توجه التاريخ الحقيقي للثقافة الغربية، فكان لفوكو أن وضع مجموعة من المصطلحات الجديدة التي لم تكن معروفة من قبل أهمها الخطاب والمنطوق والتشكيكة الخطابية والممارسة بنوعها الخطابية وغير الخطابية أما المنهج التي اعتمد عليه في تحليل الخطاب فهو المنهج الأركيولوجي الذي دعمه لاحقا بالجينيولوجيا. الكلمات المفتاحية: الخطاب، المنطوق، التشكيكة الخطابية، الممارسة، الأركيولوجيا.

Abstract:

Michel Foucault's intellectual project tended to re-read the history of Western culture seeking to shed light on the topics that this culture has marginalized, the most important of which are imprisonment, sex, punishment, etc. it was for Foucault to develop a set of new terms that were not known before, the most important of which are discourse, spoken and discursive composition and practice is both rhetorical and non-rhetorical. As for the method that relied upon in discourse analysis, it is the archaeological method that was later supported by Genealogy.

Key Words: discourse, spoken, rhetorical assortment, Practice, archaeology.

تمهيد:

إن الهدف الرئيس، الذي سعى إليه ميشال فوكو²، من وراء مشروعه الفكري القائم على دراسة الثقافة الغربية، هو الكشف عن الأبنية اللاواعية لهذه الثقافة، أو عن اللامفكر فيه في الفكر الأوروبي، حيث اعتبر أن هذا الفكر، مر بمراحل متعددة أو صورا بنائية مختلفة، حيث يكون لكل مرحلة "ابستيمي"، أو نمطها المعرفي الخاص بها، و إن كان التحول من ابستيمي إلى آخر هو ميزة الفكر الغربي، إلا أن هذا التحول حسب التصور الفوكوي، لا يرتبط بالتاريخ، خصوصا التاريخ العام منظورا إليه على أنه التأريخ الكرونولوجي للأحداث، و إنما يرتبط بتحول الخطابات.

هكذا، فإن فوكو يحاول أن يصف لنا تلك البناءات المغلقة إغلاقا محكما خصوصا تلك التي اتخذها العقل خلال الفترة الحديثة من الثقافة الغربية، أما كيفية الانتقال من بنا إلى آخر، و العوامل التي أدت إلى هذه البناءات، فهذا ما يحاول فوكو أن يفسره، أو بالتحديد يصفه، و ذلك من خلال دراسة الخطاب، إذ يعتبر الخطاب هو القاسم المشترك بين كل مؤلفات ميشال فوكو، و إن جاز لنا وصف فكر ميشال فوكو بأنه فكر نسقي، لكان الخطاب هو الحجر الأساس لهذا الفكر. يبين لنا ميشال فوكو أن الخطاب هو الموضوع الرئيس الذي يشتغل عليه مشروعه الفكري فيؤكد ذلك قائلا: "إن الخطاب بالذات، هو الشيء الذي نضعه في مركز التأمل... فلم يعد الخطاب سوى انعكاساً لحقيقة هي في طور النشوء تحت ناظريه، و عندما يمكن لكل شيء أن يؤخذ صورة الخطاب، و عندما يمكن لكل شيء أن يقال، و يمكن للخطاب أن يقال بصدد كل شيء،، فذلك لأن كل الأشياء التي أظهرت معناها وبادلتها تستطيع أن تدخل إلى الباطن الصامت للوعي بالذات"³. إذا كان ميشال فوكو، لم يفرد للغة مؤلفا خاصا و تحدث عنها في شذرات من بعض مؤلفاته، خصوصا منها كتابه الرئيس "الكلمات و الأشياء" فإنه على العكس من ذلك بالنسبة إلى الخطاب، فقد

خصص له مؤلفين منفردين هما "أركيولوجيا المعرفة" و "نظام الخطاب"، تحدث فيهما عن مفهومه للخطاب وجملة المفاهيم المرتبطة به، خصوصا المنطوق والتشكيلة الخطابية و الممارسة، بنوعها الخطابية و غير الخطابية، إضافة إلى المنهج المستخدم في دراسة الخطاب و وصفه والذي يسميه ميشال فوكو بالمنهج الأركيولوجي.

أولاً: مفهوم الخطاب

ترجع الكلمة الفرنسية Discours إلى العربية بمفردات من قبيل: المقال والحديث، النص، الخطاب، مثلما نجد ذلك في محاولة علي حرب في الموسوعة الفلسفية العربية، حيث اعتمد كلمة مقال، و هذا لاعتبارات عديدة منها، أن الترجمات العربية نسبيا اعتمدت كلمة المقال، مثلما هو الحال في ترجمة كتاب ديكارتر Discours de le méthode مقال في المنهج و ليس خطاب في المنهج. و كما أن الخطاب شائع في الدراسات الايديولوجية، أكثر منه في الدراسات العلمية والفلسفية⁴. لكن كلمة الخطاب، لا تحتل معنى واحد، و إنما معاني متعددة، تنحصر خصوصا في ارتباط الخطاب بالغرض أو الشأن، كما يرتبط بمجالات مختلفة كاللغة و السياسة و الدراسات التاريخية و الأنثروبولوجية، لكن ما المعنى الذي تأخذه كلمة خطاب في مؤلفات ميشال فوكو؟

لا تخلوا أغلب مؤلفات ميشال فوكو من كلمة خطاب، و إن كان أحيانا يكتفي بمجرد الإشارة إليها، و أحيانا أخرى يتعمق في معناها، يقول ميشال فوكو عن الخطاب: "إنه ميدان رحب، و يمكننا في تعريفه، القول بأنه يتكون من مجموعة من المنطوقات (ملفوظة كانت أو مكتوبة) في تبعثها كأحداث و في اختلاف مستوياتها. وقبل أن نتناول بثقة نفس، علما ما من العلوم، أو بعض الروايات أو الخطابات السياسية، أو عمل مؤلف ما، أو كتابا من الكتب، فإن المادة التي سيكون علينا مواجهتها، في حياها الأول، هي على العموم، عبارة عن

ركام من الأحداث داخل فضاء الخطاب، من هنا يبرز مشروع وصف الأحداث الخطابية، كأفق للبحث عن الوحدات التي تتشكل فيه⁵. كما يقول أيضاً: "سندعوا خطاباً، مجموعة من المنطوقات بوصفها تنتهي إلى ذات التشكيلة الخطابية، فهو ليس وحدة بلاغية، أو صورة قابلة لأن تتكرر إلى ما لا نهاية، يمكن الوقوف على ظهورها، و استعمالها خلال التاريخ (مع تفسيره إذا اقتضى الحال)، بل هو عبارة عن عدد محصور من المنطوقات، التي نستطيع تحديد شروط وجودها"⁶. يتحدث فوكو في التعريفين السابقين عن مفهومه للخطاب، و علاقته بالمنطوق، و كذا التشكيلة الخطابية، حيث يكون المنطوق هو الوحدة الأساسية التي يتكوم منها الخطاب، لذا قبل أن نتحدث عن التشكيلة الخطابية والممارسة الخطابية، نحاول التعمق أكثر في مفهوم الخطاب، من خلال التعرف على مفهوم ميشال فوكو للمنطوق.

ثانياً: مفهوم المنطوق

يعرف فوكو المنطوق بقوله: "لقد استخدمت في مناسبات عديدة لفظ المنطوق إما لأشير إلى عدد من العبارات، أو لأميزه عن تلك المجموعات التي أسميها الخطابات مثلما يتميز الجزء عن الكل، و يبدوا المنطوق للوهلة الأولى كعنصر بسيط، كجزء لا يتجزأ، قابل لأن يستقل بذاته، و يقيم علاقات مع عناصر أخرى مشابهة له... فالمنطوق أبسط جزء في الخطاب"⁷. إن العلاقة بين المنطوق والخطاب، كالعلاقة بين الجزء والكل، أما إن أمكننا تصور وجود أحدهما دون الآخر، فإنه يمكن تصور وجود المنطوق دون الخطاب، لأن الخطاب بما هو مجموعة من المنطوقات، يتوقف وجوده على وجود المنطوق، أما المنطوق، فله وجوده الخاص المستقل به، كما يمتاز المنطوق بأنه قد يُكتَب و قد يُنطَق. و لكي يتعمق فوكو أكثر في توضيح مفهومه للمنطوق يحاول

أن يقارنه مع بعض المفاهيم القريبة منه اللغة و الإشارة و الجملة و القضية و الفعل اللساني.

بالنسبة لعلاقة المنطوق باللغة، فإنها تذكرنا بعلاقة اللسان بالكلام عند فرديناند دو سوسير، الذي رأى أن اللسان متميز عن الكلام، و هو في الوقت ذاته مادته، بالنسبة إلى فوكو لا يمكن تصور لغة دون منطوق، و اللغة بهذه الخصيصة، لا يمكن أن تكون إلا نظاما مفتوحا. أما المنطوق، فهو الواقعة التاريخية، ما حدث وتحقق، إنه إذن، ذلك العنصر من اللغة، الذي يتشكل في صيغة وثيقة أو جملة أو قضية أو فعل لساني⁸. وإذا كان المنطوق هو تحقيق للغة و تجسيد لها، فإن العلاقة بين المنطوق و الإشارة تأخذ منحى آخر، حيث يكون المنطوق إشارة، لكن الإشارة أوسع من المنطوق، لأن الإشارة لا تنحصر فقط في المنطوقات، فهي أنواع كثيرة و تشمل أغلب مجالات الحياة. أما عن علاقة المنطوق بالقضية، فهي تبدو أكثر وضوحا، ذلك أن القضية المنطقية بما هي الوحدة الرئيسة في المنطق، قد تكون في الوقت ذاته منطوقا، مثلما قد لا تكون كذلك، و المثال الذي يقدمه ميشال فوكو في هذا الشأن هو "لا واحد يعلم" و "حقيقة أنه لا واحد يعلم"، فمن الناحية المنطقية يعتبر المثالين قضيتين غير مختلفتين، أما من الناحية المنطوقية، فيختلفان من حيث السياق، كما أن القضية التالية "جبل الذهب يوجد في كاليفورنيا"، قضية كاذبة منطوقيا، لكنها صحيحة منطوقيا، إذ يمكن تصورها قضية واردة في نص روائي وتحمل دلالة أو إشارة، ضمن سياق ذلك النص⁹. و تأكيده لهذا التصور يقول ميشال فوكو: "لا أعتقد أن الشرط الضروري و الكافي، لكي يكون ثمة منطوق، هو وجود بنية قضوية معينة، و إن بالإمكان الحديث عن منطوق، و كلما و كلما فقط، كنا أمام قضية، فمن الممكن جدا، أن توجد عبارتان متميزتان، تنتميان إلى مجموعة خطابية واحدة، و لا تخضع إلا لنفس قوانين البناء، و لا تنطوي إلا على نفس إمكانيات الاستخدام"¹⁰.

هكذا، فإذا كان للمنطوق علاقات متنوعة تربطه مع اللغة و الإشارة و القضية إلا أن هذه المفاهيم الثلاث، تبقى دائماً في حاجة المنطوق، لأنه شرط أساسي لوجودها، أما المنطوق فيبقى مستقلاً بمفهومه الخاص، أو تحديداً بحضوره في كل المفاهيم، لكن الاختلاف المهم بينه و بين هذه المفاهيم، يتمثل في أن اللغة و الإشارة و القضية وغيرها، تتعلق بالمعنى والواقع و المنطق على التوالي، إلا أن المنطوق يحلل دائماً بحسب ارتباطه بما يسميه ميشال فوكو بالتشكيكة الخطابية، فما هي التشكيكة الخطابية؟ و ما علاقتها بالمنطوق و الخطاب؟.

ثالثاً: مفهوم التشكيكة الخطابية

يتحدد مفهوم و وظيفة التشكيكة الخطابية، كما يبين لنا ذلك ميشال فوكو، من خلال العلاقة التي تُقيّمها بين الخطاب و المنطوق، و تزداد أهميتها عندما نعرف أنها هي التي تميز بين المنطوقات التي تشكل خطاباً، و المنطوقات التي لا تشكل خطاباً وهذا ما يوضحه فوكو في قوله: "ينتمي المنطوق إلى التشكيكة الخطابية، مثلما تنتهي الجملة إلى النص، و القضية إلى مجموع استنباطي، غير أنه إذا كان انتظام الجملة يتحدد بقواعد اللغة، و انتظام القضية بقواعد المنطق، فإن انتظام المنطوقات يتحدد بالتشكيكة الخطابية ذاتها"¹¹.

هكذا، و بناء على ما ذكره فوكو، نصل إلى تبيان طبيعة العلاقة بين الخطاب و المنطوق و التشكيكة الخطابية، فإذا كان المنطوق، هو الوحدة الأولى التي يتكون منها الخطاب، فإن مجموعة من الخطابات تكون تشكيكة خطابية. ففي العصر الكلاسيكي مثلاً، هناك تشكيكة خطابية حول الجنون تعبر عنها مجموعة من الخطابات، كالخطاب الطبي و الخطاب الديني و الخطاب السياسي مثلاً، و غيرها حيث يكون كل خطاب بدوره هو مجموعة من المنطوقات المكتوبة أو المنطوقة، مع التأكيد على أن الوثيقة أو الأرشيف،

هو المادة التي اشتغل عليها فوكو، لكشف الأبنية اللاواعية للثقافة الغربية حول موضوع الجنون، وغيره من الموضوعات الأخرى. وتوضيحا لطبيعة هذه العلاقة يقول فوكو: "إذا كانت التشكيلة الخطابية هي مبدأ تبعثر و توزع لا الصياغات أو الجمل أو القضايا فحسب، بل المنطوقات كذلك فإن لفظ الخطاب، سوف يتحدد بصورة نهائية كمجموعة من المنطوقات التي تنسب إلى نفس نظام التكون، و استطيع على هذا النحو أن أتكلم عن خطاب منطوقي وخطاب اقتصادي و خطاب التاريخ الطبيعي و خطاب الطب العقلي"¹².

رابعاً: الممارسة الخطابية و الممارسة غير الخطابية

يسمى فوكو الوظيفة التي يؤديها الخطاب داخل التشكيلة الخطابية بالممارسة الخطابية، و هي من أهم المفاهيم الفوكوية؛ ذلك أن البعد الفلسفي لهذه الفكرة، يتمثل في كون الممارسة تعني إقصاء الذات من عملية إنتاج الخطاب، لأنه ينتج نفسه بنفسه وهذا ما يؤكد فوكو بقوله: "فالممارسة الخطابية هي مجموعة من القواعد الموضوعية والتاريخية المعينة والمحددة دوماً في الزمان و المكان، و التي حددت في فترة زمنية بعينها، و في نطاق اجتماعي و اقتصادي و جغرافي أو لساني معطى، شروط ممارسة الوظيفة المنطوقية"¹³. كما يميز فوكو، بين الممارسة الخطابية و الممارسة غير الخطابية، الأولى تهتم بدراسة و تحليل الخطاب في حد ذاته، أما الثانية، فتهتم بعلاقات الخطاب بشتى مجالات الحياة. و إذا كان فوكو لا يقيم العلاقة بين الممارسة الخطابية و الممارسة غير الخطابية، على أساس السبب و النتيجة، فإنه يرى أن الوصف الأركيولوجي يصف أشكال ظهور الخطاب و انبثاقه و كذا مختلف علاقاته التي يرى أنها تتكون من علاقات أولية، و التي يمكن وصفها داخل المؤسسات و التقنيات و التشكيلات الاجتماعية و غيرها. و علاقات خطابية لا توجد داخل الخطاب، بما أنها لا ترتبط بالألفاظ و لا بالجمل و لا

بالقضايا، كما أنها ليست خارج الخطاب، بما أنه ينكر فكرة السببية و
الأسبقية¹⁴.

هكذا، و بناء على ما سبق ذكره عن الخطاب، و المفاهيم القريبة منه
خصوصا المنطوق و التشكيلة الخطابية، يتبين لنا أن الخطاب حسب التصور
الفوكوي، هو مجموعة من المنطوقات، التي تشكل بدورها مجموعة من
التشكيلات الخطابية، حيث تتجاوز هذه المفاهيم، التصورات التقليدية
المعروفة، حول التاريخ العام و المراحل الزمنية و الذات أو المؤلف و الفرع
المعرفي، ذلك أن الخطاب مع فوكو أصبح يعبر عن الانفصال لا الاتصال، لأن
كل مرحلة تتميز بنظامها المعرفي الخاص، و هذا ما يتضح لنا من خلال منهج
البحث في الخطاب عند فوكو والمسعى بالمنهج الأركيولوجي.

خامساً: المنهج الأركيولوجي

يسمى فوكو منهجه في دراسة الخطاب، بالأركيولوجيا، و إذا كانت
الأركيولوجيا بالمعنى العام تعني دراسة الآثار القديمة، فإنها تأخذ معنى خاص
مع ميشال فوكو يتعلق بوصف الوثائق أو الأرشيف، لا بالبحث عن البدايات،
حيث يقول في "أركيولوجيا المعرفة": "إن الدراسة الأركيولوجية، هي وصفٌ
مُنظَّمٌ لخطاب يجعل منه موضوعه"¹⁵ و هذا ما يبين لنا، أن هذا المنهج ذو
طبيعة وصفية، يدرس موضوعا محددًا هو الخطاب، و لتوضيح طبيعة
الدراسة أكثر، يضيف فوكو قائلاً: "يتجه تحليل الحقل الخطابي، إلى التعامل
مع المنطوق كشيء قائم بالذات، لا يحيل إلى مستوى آخر والنظر إلى ما في
خصوصيته و تميزه كحدث لا أصول له وتحديد شروط وجوده وتعيين حدود
تلك الشروط بكيفية دقيقة و واضحة أكثر...في تحليل الحقل الخطابي لا
يتوجه الاهتمام إطلاقاً إلى البحث خلف ما هو ظاهر، عن الثثرة شبه الصامتة

لخطاب آخر، بل إلى إظهار لماذا صعب عليه أن يكون غير ما كان، و كيف
ينفرد بذلك الحق عن الخطابات الأخرى¹⁶.

لقد استعمل ميشال فوكو مصطلح الأركيولوجيا في معنى تنفرد به تحليلاته
وحدها، إنه معنى مجازي بالفعل، حيث يُلحَّ على أنه ليست هناك علاقة لأبحاثه
وتحليلاته بالأثار و التاريخ، إنه لا يبحث في مجال المعرفة، عن الآثار الغابرة
من أجل إعادة بناء و تركيب ماضي المعرفة. إن موضوع تحليلاته هو خطاب
المعارف في حاضرها، بعيداً عن أي ارتباط بماضي لها أو مستقبل، حيث يحفر
في الخطاب المعرفي لفترة تاريخية معينة، بحثاً عما يسميه مجموع القواعد
التي يعتبرها كشرط إمكان، تجعل تلك المعارف تظهر و تنشأ، في تلك الفترة
بالذات ثم تختفي بعد ذلك¹⁷. يقوم المنهج الأركيولوجي عند فوكو، على
الوصف و التحليل معاً، مع التأكيد على عدم أهمية البحث عن الأصول و
البدايات، و إنما وصف الوجود المتراكم للخطابات، التي تبقى أحداثاً مستقلةً،
لا علاقة لها بالذات، و لا بالفروع المعرفة. وتأتي مبادئ التحليل الأركيولوجي،
لتثبت أن الخطاب حدث مستقل، و هذه المبادئ كما حددها فوكو هي:

أ- الندرة: اتجه فوكو إلى دراسة الخطابات النادرة، لأنها في رأيه هي التي تعبر عن
مكبوتات الثقافة الغربية، و عن الموضوعات التي همشتها، و بالتالي رفضت
الحديث عنها، يقول فوكو: "أما تحليل الخطاب، فهو يريد تحديد المبدأ الذي
يتحكم في ظهور المجاميع الدالة وحدها، و التي تم التلطف بها، كما يسعى إلى
سن قانون الندرة"¹⁸.

ب- الخارجية: و تعني النظر إلى المنطوق أو الخطاب، من حيث انتظامه
الخارجي ذلك أن منهجية تاريخ الفكر، تقوم على دراسة الوثيقة من الخارج و
الداخل، قصد الكشف عن مضمونها و دلالتها و انتظامها و معناها. أما
التحليل الأركيولوجي، فإنه ينظر إلى الخطاب في شكل انتظامه الخارجي، قصد
استعادة المنطوقات في حالة تبعثرها الخالص، و قصد الإمساك بانبيجاسها و

ظهورها المبالغت، و استكشاف تأثيرها كحدث. و تتطلب هذه المهمة، أن ننظر إلى المنطوقات كأحداث خطابية ليست ناتجة عن شيء¹⁹. أي ليست ناتجة عن الذات، لأن هذا ما يرفضه فوكو، وإنما أن ننظر إلى الخطابات كممارسة خطابية و فقط، أي أن ننظر تحديداً إلى الخطاب في حد ذاته وفي وجوده المستقل.

ج- التراكم: يمتاز الخطاب، بأنه وجود متراكم، و هذا التراكم يتجسد في الأرشيف أو الوثيقة، لأن المؤلف يزول، لكن الخطاب يبقى: "و إن ميزة هذا التحليل، ليست ايقاض النصوص في سبلتها الراهن، قصد اكتشاف وميض ميلادها عن طريق فك ألغاز حروفها المكتوبة فيها، بل العكس، ملاحقتها خلال سباتها الطويل أو على الأصح، رفع أو طرد الموضوعات و الأفكار المحورية التي تمت بصلة إلى السبات و النسيان والأصل الضائع، و اكتشاف نمط الوجود الذي يميز المنطوقات"²⁰.

د- القبلي التاريخي: إن القبلي التاريخي، هو البحث في الأسباب التاريخية لظهور الخطابات، و غايته أن يكشف بأن الخطاب له تاريخ نوعي خاص²¹. حيث يبين لنا فوكو، كيف تحولت نظرة الفكر الغربي إلى الجنون من العصر الكلاسيكي إلى العصر الحديث، بحيث أصبح ينظر إلى المجنون نظرة ايجابية، عكس النظرة السلبية التي كانت سائدة في العصر الحديث، و هذا التحول، يرجع إلى عدة عوامل أهمها ظهور الثورة الصناعية و الحاجة إلى اليد العاملة، و هذا ما أدى إلى إخراج المجانين والمرضى و المهمشين من السجون و المحاجر و تحويلهم إلى المصانع. إضافة إلى عامل آخر، لا يقل أهمية، يتمثل في ظهور التحليل النفسي عند فرويد والتأكيد على أهمية اللاشعور في توجيه سلوكات الإنسان.

إن هذه الخصائص السابقة الذكر، هي أهم ما يختص به المنهج الأركيولوجي عند فوكو، و تميزه في الوقت نفسه، عن بقية المناهج المعاصرة،

سواء المنهج الأركيولوجي في ارتباطه بالتاريخ العام، أو حتى المناهج اللغوية الأخرى، كالمنهج الوصفي الألسني، وغيرهما. إن هذا ما يعبر عن توجه جديد في دراسة الخطاب وفي دراسة تطور الأفكار، حيث ترتب عن هذا المنهج، التعرف على طبيعة الفكر والثقافة الغربية، و عن حقيقة موقفها من الكثير من الموضوعات، التي كانت مهمشة من قبل ومصنفة في خانة اللامفكر فيه.

سادساً: بين الأركيولوجيا والجينياولوجيا

إن الانغلاق التام للأركيولوجيا في عملية وصف الخطايات، جعلها تعجز عن التعمق في بعض المسائل المهمة، خصوصاً مسألة المعنى و دلالة المنطوقات وغيرها. هذا ما جعل فوكو يلجأ إلى إحداث تعديل منهجي، بالاعتماد على الجينياولوجيا، و بالتالي الجمع بينهما في المنهج الأركيولوجي الجينياولوجي. في اليونانية يعني الفعل Généalogein سر الأصول، و أصبحت فيما بعد تحمل معنيين مختلفين لكنهما متكاملين، فهي تعني من جهة البحث في الأصل، و من جهة أخرى، البحث في التطور و الرقي. و إن هذا المعنى، ينعكس في ثلاث مجالات أساسية، مجال التاريخ و المجتمع، و يعنى بالبحث في العلاقات و الأنساب و الثاني في مجال البيولوجيا، و يعنى بالبحث في مجال الأنواع و الكائنات الحية والثالث في مجال الفلسفة، و يعنى بالبحث في أصل الأحكام الأخلاقية²². فإذا كانت الأركيولوجيا تتوقف عند حدود الوصف و التحليل، و أن الجينياولوجيا هي بحث في الأصول، فكيف يجمع فوكو بينهما في دراسة الخطاب؟.

يمتاز البحث الجينياولوجي بأنه بحث تاريخي، لكنه مختلف عن تاريخ المؤرخين لأنه ينفي الاتصال و يؤكد على الانفصال، لذلك نجد أن فوكو وظف هذا المعنى على موضوعات محددة، هي السلطة و المعرفة و الجسد، بالتوظيف المزدوج للأركيولوجيا و الجينياولوجيا، و مراعاة مبادئ تحليل

الخطاب، و هكذا تكون مهمة الجينياالوجيا أن تُظهر أن الجسد غارق مباشرة في الميدان السياسي، و أن علاقات السلطة تخترقه، وأن المعرفة متورطة في الصراع الدنيء لعلاقات الهيمنة، و هذه هي الموضوعات الكبرى التي سيحللها فوكو، بالاستناد إلى الجينياالوجيا و بالتناوب مع الأركيولوجيا. هكذا، فإن ما تضيفه الجينياالوجيا للأركيولوجيا، هو دراسة مسألة المعنى، و هذا ما جعل فوكو يتوجه إلى دراسة موضوعات جديدة كالجسد والسلطة و غيرهما، و هذا ما يبين توجه فوكو إلى دراسة الممارسات غير الخطابية إلى جانب دراسته للممارسات الخطابية.

- الهوامش:

¹ أستاذ بقسم الفلسفة، جامعة قسنطينة2.

2 ميشال فوكو Michel Foucault (1926-1984)، يحتل فكر فوكو مكانة جد متميزة في الفكر الغربي المعاصر، حيث يقوم مشروعه على اكتشاف الأبنية اللاواعية للثقافة الغربية، فدرس موضوعات كانت مغيبة، أهمها الجنون و الجنس، متبعا

المنهجين الأركيولوجي والجينيولوجي، خصوصاً في دراسة موضوعات المعرفة والسلطة. أهم مؤلفاته "المرض العقلي و النفسى" 1954، "تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي" 1961، "مولد العيادة" 1963، "الكلمات و الأشياء" 1966، "أركيولوجيا المعرفة" 1969، "نظام الخطاب" 1971 "المراقبة والعقاب" 1975، "تاريخ الجنسانية" بأجزائه الثلاثة، "إرادة المعرفة" و "استعمال الملذات" و"الاهتمام بالذات" 1976-1984 ينظر:

Noella Baraquin et Jacqueline Laffitte, Dictionnaire des philosophes, p, 116.

- 3 ميشال فوكو، نظام الخطاب، ترجمة محمد سبيلا، بيروت، 1987، ص 74.
- 4 بغورة الزواوي، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو، بيروت، 1999، ص 87.
- 5 ميشال فوكو، حفريات المعرفة، ترجمة سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، ط2، بيروت، 1987، ص 26.
- 6 المصدر نفسه، ص 108.
- 7 المصدر نفسه، ص 76.
- 8 بغورة الزواوي، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو، المرجع السابق، ص 97.
- 9 المرجع نفسه، ص 98.
- 10 ميشال فوكو، حفريات المعرفة، الصدر السابق، ص 76.
- 11 ميشال فوكو، حفريات المعرفة، الصدر السابق، ص 108.
- 12 ميشال فوكو، حفريات المعرفة، المصدر السابق، ص 100.
- 13 المصدر نفسه، ص 109.
- 14 بغورة الزواوي، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو، المرجع السابق، ص 109.
- 15 ميشال فوكو، حفريات المعرفة، الصدر السابق، ص 129.
- 16 المصدر نفسه، ص 27.
- 17 عبد الرزاق الدواي، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، ط1، دار الطليعة، بيروت، 1992، ص 140.
- 18 ميشال فوكو، حفريات المعرفة، الصدر السابق، ص 110.
- 19 بغورة الزواوي، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو، المرجع السابق، ص 118.

20 ميشال فوكو، حفريات المعرفة، المصدر السابق، 114.

21 بغورة الزواوي، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو، المرجع السابق، ص 120.

22 المرجع نفسه، ص 127.